الرفيق ابو علي مصطفى يفتتح ندوة في مدرج جامعة دمشق :

نمتلك اسلحة نضالية كثيرة لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية على المنطقة العربية

لمناسبة الذكرى الخامسة لانتفاضة الشغيلة في تونس ، والذكرى الثالثة . لانتفاضة «قفصة» ، نظّم الاتحاد العام لطلبة تونس في جامعة دمشق اسبوعاً احتفالياً تضمن سلسلة من الندوات السياسية والادبية ، أختتم في العاشرة من هذا الشهر بحفل فني . وفي اطار هذه الاحتفالات ألقى الرفيق ابو علي مصطفى نائب الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ندوة سياسية بعنوان :

«الواقع العربي الراهن ومتطلبات المواجهة» .

وذلك على مدرج الجامعة ، يوم التاسع من شهر شباط الجاري وسط حشد كبير من الطلبة ، واصدقاء الجبهة .

وفيما يلي عرض لابرز ما جاء فيها :

استهل الرفيق ابو علي مصطفى ندوته بتسجيل التحية والتقدير للاتحادالعام لطلبةتونس، وللشعب التونسي ونضالاته . وقال : «لم تقف نضالات الشعب التونسي ، وطبقته العاملة عند حدود تونس ، بل امتدت لتكون شريكة بالدم مع حركة التحرر الوطني العربي .

هذه النضالات التي وقف على رأسها رموز مضيئة مثل الشهيد محمد علي الحامي والمناضل الشهيد حسين كدكي . وانه من دواعي الفخر والاعتزاز لنا في الثورة الفلسطينية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، أن شاركنا مسيرتنا النضالية ، رفاق تونسيين ، مناضلين وزملاء استشهدوا معنا في درب النضال ، اذكر منهم طاهر الورغمي ، وعامر جابر ، والحبيب عمر شرشور الذي استشهد على ابواب بيروت في معركة الدفاع المجيدة ضد الاحتلال الصهيوني» .

واشاد بدور الحركة الطلابية في وطننا العربي ، وفي بلدان العالم الثالث حيث تلعب دورا هاما لتحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . واشاد كذلك بتضحياتها الكبيرة وقال :

« لذلك نعتبر ان دوركم كبير ، وعليكم تقع مسؤوليات الى جانب الطبقة العاملة ، والفلاحين ، وعموم الكادحين في امتنا العربية ، في قيادتها وادارة صراعها مع العدو على كافة الجبهات » .

بعد ذلك تعرض الرفيق ابو علي الى الوضع العربي ، معتبرا انه لا يكفي أن نختصره في عبارة واحدة هي « الوضع العربي الرديء » .

وقال : « على العكس نحن نشعر من موقع المسؤولية اننا عندما نشخص هذا الوضع بأنه رديء ، يجب أن نذكر الاسباب ونحدد وسائل العلاج » .

اضاف « لقد فتح الرابع من حزيران عام ١٩٨٢ ، الباب واسعاً لاثارة تساؤلات مشروعة ، من واقع الشعور بالمسؤولية عن الحاضر والمستقبل . من هذه التساؤلات :

من المسؤول عن هذا الواقع الرديء ؟

هل هو المواطن العادي ؟ أم القوى الطلائعية التي تتصدر النضال في حركة التحرر الوطني العربي ؟»

وانتقد واقع أن التساؤل يميل في بعض الاحيان الى التبسيط في تشخيص الازمة ، عبر تحميل المسؤولية للانظمة وكفى . وقال « وفي ظل هذا الواقع ، يميل البعض الى الانفصال المطلق الى درجة التبرؤ من عروبته . نحن لسنا مع هذا ولا ذاك ، لسنا مع التبسيط ولا مع الانفصال المطلق حتى الكفر . نحن مع التدقيق العلمي الموضوعي الذي يقول ان هناك عناصر موضوعية تتمركز في طابع الهجوم الرئيسي لمعسكر الاعداء ، ووزن القوى القائم ، وايضا هناك عناصر ذاتية ، نحن مسؤولون عنها كحركة تحرر وطني عربي ، عندها تستقيم الامور ، ويصبح بالامكان استخراج العلاج الصحيح .

وفي هذا الاطار أين نقف نحن من المسؤولية في تشخيص هذه الازمة ؟

لا شك أن هناك هجمة امبريالية ، وعدوا صهيونيا ، وهناك قوى رجعية محلية في المنطقة العربية تسود ، وتشكل الظاهرة الرئيسية في الانظمة . وهي بحكم مصالحها وطبيعتها ، تتجه لقطع دابر حركة التحرر الوطني العربي ، وضرب قواها الاجتماعية ، وعلى الاخص منها الطبقة العاملة حتى تستطيع أن تبقى سائدة بمصالحها ، وبثرواتها ، وهيمنتها على هذه المنطقة سياسياً واقتصادياً وجغرافيا .

هذا صحيح ، ولكن لماذا انتهينا الى الوضع الراهن ؟ لنجد انفسنا لا نستطيع أن نخرج بمظاهرة في اية عاصمة عربية ، في أطول حرب خاضتها امتنا وشعبنا وثورتنا في مواجهة العدو الصهيوني .

نحن نقول ما هو السبب ، فهو :

اولا : يكمن في الثروات النفطية التي تحوز الرجعية العربية على غالبيتها ، والتي حولتها هذه الرجعية الى سلاح بيد البرجوازيات المحلية ، لتتسع شرائحها باتساع السمسرة ، والمقاولة ، ووظائف الارتزاق ، واجهزة البيروقراطية .

ونتيجة لهذا الواقع ، وبدلا من أن يكون النفط سلاحاً في ايدينا ، اصبح سلاحاً بيد القوى الرجعية تستخدمه ضد الثورة الفلسطينية ،! ومختلف فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، وكلكم سمعتم بما قاله الحكام العرب الجالسون في السعودية ، من أن هذا السلاح لا يجوز أن يستخدم في العلاقات الدولية ، بحجة انه اقتصاد ولا علاقة له بالسياسة . في الوقت الذي يقول فيه العلم « أن السياسة هي اقتصاد مكثف » .

ثانيا : إن هذه المرحلة السياسية اثبتت وبالملموس اتضاح عجز البرجوازية عن القيام بمهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبالتالي هذا يزيد من العبء المطروح على الطبقة العاملة واحزابها ، باعتبارها ليست مسؤولة عن انجاز مهمات الثورة الاشتراكية فحسب ، وانما عن القيام بمهمات الثورة الوطنية الديمقراطية .

سمات البرجوازية

ويرجع هذا الى كون البرجوازية في بلدان العالم الثالث تتسم بسمات ثلاث تفسر عجزها عن القيام بمهماتها الوطنية وهي :

السمة الاولى : أن برجوازية بلداننا غير منتجة ، فهي لا تعتمد على بناء قاعدة مادية تتشكل من وحدات اجتماعية متكاملة كما حصل مع برجوازيات اوروبا إبّان نهضتها ،! بل حولت هذه البرجوازية الغير منتجة بلداننا الى سوق استهلاكية للبضائع والمنتوجات الاجنبية .

السمة الثانية : ان هذه البرجوازية متخلفة بكل القوانين التي تفرزها ، وعلى سبيل المثال ، أعطت البرجوازية الاوروبية حقوقاً كثيرة للمرأة كحقها في العمل والانتخاب والتعلم والثقافة .. الخ ، واعطت حق النقابات العمالية ، وحق الاضراب ، وحق تشكيل الاحزاب ، مع الفرق الشاسع بالطبع بين هذه الحقوق ، والحقوق التي يحصل عليها المرء في المجتمعات الاشتراكية .

أما برجوازية بلداننا فتصل في تخلفها الى درجة منع الحدود الدنيا من الديمقراطية الليبرالية (حق المرأة ، النقابات ، الصحافة ، الاحزاب .. الخ ، وحتى البرلمانية في بعض البلدان العربية) ، وابرز مثل ما يقوم به حكام السعودية ، قادة هذه المرحلة الرديئة .

وفي بعض البلدان العربية لا زال هناك قانون اسمه قانون العشائر ، وهذا القانون له الحق في ان يسود على قانون القضاء .

السمة الثالثة : أن برجوازية بلداننا ، كما هي تابعة اقتصاديا ، فهي تابعة سياسيا للامبريالية .

وثالثا : أن السبب في سيادة الرجعية وطننا العربي . فهو الدور القمعي للانظمة البرجوازية ، هذا الدور الذي يتضاعف كلما واجهت الانظمة عجزاً في مواجهة العدو الخارجي ، وفي الدفاع عن الوطن واستقلاله ، كلما زاد عنفها وقمعها للجماهير كنوع من التغطية لعجزها والحماية لمصالحها الذاتية الانانية الضيقة .

ورابعا : فقدان المركز حيث أن لكل حركة تحرر مركزها الذي يستطيع أن يتحمل المسؤولية ، وكافة الاعباء في دعم الحركة النضالية .

وعلى سبيل المثال ، كان مركز حركة التحرر العربي في الخمسينات في مرحلة النهوض القومي التقدمي ، الناصرية وعبد الناصر ، فأين مركزها الآن ؟

وهناك مركز متقدم لحركة التحرر في امريكا اللاتينية اسمه كوبا ، وهناك قائد اسمه كاسترو فاين هي كوبا العرب ؟ واين هو كاسترو العرب ؟

إن عدم وجود مركز متقدم يتحمل كافة الاعباء ، لا يلغي دور حركة التحرر ، وانما يُضعفها ، ويزيد من صعوباتها .

وخامساً : ضعف الدور القيادي لفصائل حركة التحرر الوطني وتردي برنامج المواجهة ، وعلى الاخص منها ، احزاب الطبقة العاملة . واقصد بالدور القيادي دور كافة الاحزاب والقوى والحركات التقدمية ، والشعبية العربية التي كانت تتصدر دورا رياديا ومتقدما في الخمسينات .

هذا الدور القيادي الذي يُفترض أن تضطلع به قوى طلائعية محددة ، بحيث يكون برنامجها لهذه المرحلة ، والتي تليها برنامج مهام نضالية ، شرط أن يكون هذا البرنامج منبثقاً بشكل دقيق عن البرنامج الاستراتيجي .

أقول ذلك وفي ذهني تساؤل حول النقاش الذي دار في السنوات الاخيرة داخل حركة التحرر الوطني العربي حول مسألة الكفاح المسلح .

أسلحتنا للمواجهة

فما هو السلاح الذي نستطيع أن نجابه به الهجمة ، وقواها المحلية ، دون أن يعني ذلك التقليل ولو لدرجة واحدة من أهمية امتلاك كافة اسلحة النضال ، وادارة الصراع بكل اشكاله ، في الوقت الذي نؤكد فيه انها جميعا اسلحة نضالية يجب أن تُستعمل ، ولكن